العقاب البدني للطفل بين العنف والتربية

أ. كوثر ابراهيمي، أ. سهيلة بوعمر- بسكرة- الجزائر

الملخص:

نسعى من خلال هذا البحث إلى توصيف العقاب البدني من حيث مفهومه ومدى انتشاره محليا وعربيا وعالميا، وطرح مسألة كون هذا الأسلوب هو تربوي أم تعنيفي من خلال عرض لما توصلت له الدراسات من تأثيرات العقاب البدني على الطفل، مع وضعها في إطار الانتقادات التي وجهت لها، لنتوصل في الأخير إلى الإجابة عن هذا الإشكال ووضع هذا النوع من العقاب في موضعه الصحيح. مع التطرق إلى أساليب العقاب البدني المعتمدة من الأسرة الجزائرية.

Abstract :

This paper description about the Concept of corporal punishment and his locally, Arabian and worldwide relevance , and we discussion if this method is education or violence . The research studies shows many effects of corporal punishment to child, and there is many criticisms we will be described, and finally answer the problematic for this type of method , in addition we explanation about the ways of corporal punishment for Algerian families.

مقدمة:

تعتبر الأسرة الصورة الأولى للحياة، وهي أصغر خلية اجتماعية يرتبط بها الإنسان منذ طفولته، حيث يولد الفرد ويعيش في كنفها وهي ضرورية لبقائه، فالأسرة هي المجتمع الإنساني الأول الذي يمارس فيه الطفل أول علاقاته الاجتماعية، وهي المسئولة عن إكسابه أنماط من السلوك الاجتماعي، كما أن كثيرا من مظاهر التوافق وسوء التوافق ترجع إلى نوع العلاقات السائدة في الأسرة.

وتعتبر أساليب المعاملة الوالدية المتبعة من قبل الآباء إحدى الجوانب المهمة في حياة الأبناء وذلك لما لها من دور فعال في توجيههم من خلال التنشئة الاجتماعية، ولعل من بين أكثر الأساليب إتباعا من قبل الوالدين في إطار تعديل سلوكات أطفالهم وإكسابهم أنماطا من

السلوك أكثر قبولا أسريا وخلقيا ومجتمعيا، هو أسلوب العقاب، الذي يتعدد هو بدوره إلى طرق وأساليب مختلفة تتبلور في إطار ما يسمى العقاب المعنوي والعقاب الجسدي.

ولعل العقاب في نمطه الجسدي يحتل الصدارة في التطبيق، فبغض النظر عن توارثه عبر الأجيال، فهو يتميز بالسهوله وسرعة التأثير على سلوك الطفل، وذلك لارتباطه بكل من الخوف وتهديد الشعور بالأمن، وهذا ما جعل هذا النمط يمارس بشكل غير مدروس فقد يصل في بعض الأحيان إلى حد الحاق الضرر الجسدي والمعنوي للطفل، وبذلك قد يحيد عن هدفه الأساسي وهو تعديل السلوك غير المقبول، ناهيك عن التأثيرات السلبية التي قد تلحق بالطفل. وهذا ما جعل فريقا من الباحثين ينادي بالتوقف النهائي عن استخدام هذا الأسلوب والاعتماد على أساليب بديلة تتبلور من خلال أطر نظرية مختلفة؛ كالتعزيز السلبي والعقاب السلبي والحزم والتجاهل... . ولكن ما يعيب هذه الأساليب من بطء في تحقيق النتيجة المرجوة عدا ما تتطلبه من صبر وقوة تحمل من قبل المربي، هو ما جعل فريقا آخر من الباحثين لا يعيب استخدام اسلوب العقاب تحت شروط معينة، فبقدر عيوبه نجد أن له ميزات لا يوفرها اسلوب تربوي آخر.

وإن الجدل القائم حول جدوى العقاب وخاصة الجسدي منه وفعاليته لايزال قائما، ونحن من خلال هذه الورقة البحثية نحاول توضيح و فك هذا الجدل من خلال مناقشة هذا الأسلوب انطلاقا من تأثيراته التي توصلت لها الأبحاث المختلفة العربية والأجنبية، ومن ثم من الممكن الحكم على صلاحية هذا الأسلوب من عدمه.

فما هو اذن هذا الأسلوب؟ وفيم تتمثل تأثيراته؟ ومامدى فاعليته؟ وفي أي اطار يتموضع (تربوي ام تعنيفي)؟

1. مفهوم العقاب البدني:

حتى يتبلور لنا مفهوم العقاب البدني لابد من الإشارة أولا إلى بعض من التعاريف لعدد من الباحثين، والتي تعكس وجهات نظر مختلفة وتتبنى أطر نظرية مختلفة:

- **الدكتور آن صانشون وآخرون** (Ann S and all,): يمكن وصف العقاب تقنيا كتطبيق لاستجابة مشروطة بحدث منفر أو غير سار، في محاولة للقمع، أو منع تكرار تلك الاستجابة. الاستجابة الشرطية في العقاب تفترض أنه إذا حدث استجابة غير مقبولة، يمكن للحدث المنفر سواء الجسمي (ردف الطفل، ضرب المراهق، الإعدام)، أو المادي (فرض غرامة، فقدان الأنشطة أو الحرية)، أو العاطفي (سحب المودة، التعبير عن الرفض)، أن تعتبر الاستجابة المعاقب عليها غير مقبولة.[1]
- **غابرييل باجونيس** (Gabriel P ,2007): العقاب البدني هو أي فعل أو إجراء يُتخذ لمعاقبة الطفل، وإذا كان موجها من الكبار فمن شأنه أن يشكل اعتداء غير قانوني، فالكبار لديهم موهبة كبيرة في ابتكار كلمات خاصة تجعلهم يشعرون بمزيد من الراحة عند ضرب الطفل، أو صفعه، ردفه...، لكن الحقيقة الصارخة بالنسبة للطفل هي كون كل هذا هو عنف.
- **لجنة حقوق الطفل:** (The Committee on the Rights of), 2006 the Child (CR): هو أي عقاب يتم فيه استخدام القوة الجسدية ويهدف إلى التسبب في إحداث درجة من الألم وعدم الراحة، وينطوي معظمها على (الضرب، الصفع، اللطم، الردف)، سواء باليد أو أدوات أخرى (العصا، السوط ، الحزام، حذاء...)، وكذلك يمكن أن تشمل: الركل، الهز أو رمي الطفل، الخدش، العض، نتف الشعر، اللكم، إرغام الطفل على البقاء في وضع غير مريح، الحرق، الابتلاع القسري (مثل إجبار الطفل على ابتلاع توابل حارة).[2]
- **برو هولزر وأليستر لا مونت** (Prue H and Alister L): يعرف العقاب البدني باستخدام القوة البدنية نحو الطفل بقصد التحكم أو التعديل، وكعقوبة تأديبية تصيب الجسم، مع نية التسبب في درجة معينة من الألم أو عدم الراحة، ولكن معتدل، مثل: الضرب، الصفع، الردف. ومعظم أشكال العقاب يتم فيها

إشراك ضرب الطفل سواء باليد أو بأدوات معينة (مثل الحزام أو ملعقة خشبية)، والنتيجة المرجوة من العقاب هو انصياع الطفل لتوجيهات الكبار.[3]

- **مصطفى أبو الفتوح وآخرون:** العقاب البدني هو إلحاق الألم الجسدي دون التسبب في ضرر للسلوك المدرك على أنه سيء، بنية تعديل ذلك السلوك، ويشمل: الضرب، الهز، الضرب بأشياء معينة.... .
- **الدكتور سامي محمد ملحم:** هو إجراء يتم فيه تعريض الطفل لمثير بغيض أو مؤلم ما يؤدي إلى تقليل احتمال حدوث السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة.[4]

إذن نلاحظ من خلال ما تم عرضه من تعاريف هو أن أغلب الباحثين اتفقوا على نقاط رئيسية في إطار توصيفهم لمفهوم العقاب البدني، ويمكن ان نوضح نقاط الاتفاق كما يلي:

- أن العقاب البدني يتضمن استخدام القوة البدنية.
- يتم من خلاله إلحاق الألم الجسدي شرط أن لا يكون هناك ضرر، فإن وجد الضرر لم يعد ما يقع على الطفل ينطبق عليه اسم العقاب البدني بل يتعدى ذلك إلى الإساءة البدنية أو العنف البدني. على الرغم من أن (Gabriel P ,2007) يعتبر أن هذا النوع من العقاب هو عنف موجه ضد الطفل بغض النظر عن إلحاقه الألم فقط دون الوصول لدرجة إلحاق الضرر.
- الغرض من العقاب البدني ليس الأذى، بل تعديل السلوك الغير مرغوب أو كفه أو التقليل منه، والانصياع لأوامر الأبوين.
- للعقاب البدني أشكال مختلفة، منها ما يكون باليد فقط كالضرب والصفع، ومنها باستخدام أدوات معينة كالعصا، ومنها ما يكون بالإجبار كتناول الفلفل أو الاجبار على الوقوف في وضع غير مريح لساعات.

وبعد أن تم التعرف على مفهوم العقاب البدني بأشكاله، يبقى السؤال الذي يتبادر إلى الذهن: هل هذا الإجراء هو تربوي أم تعنيفي في حقيقته؟، خصوصا مع استخدامه العالمي

الواسع؛ فقد وجد Carson (1986) في دراسته لـ 186 من اللآباء في مدينة انجلترا الجديدة، أن ثلث هؤلاء الآباء يضربون باندفاع. كما توصلت دراسة استقصائية وطنية كندية عام 1989 إلى أن ما يقرب 80% من الآباء يفقد السيطرة عند تأديب أطفالهم.[5]

وفي استفتاء للرأي العام بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1995 أظهر أن 74% من الأطفال تحت سن الخامسة ضربوا أو صفعوا من آبائهم.[6] وفي دراسة استقصائية وطنية عن العنف الأسري (1975، و1985)، كشفت أن أكثر من 90% من الآباء الأمريكيين لا يزالون يستخدمون العقاب البدني كأسلوب للضبط.[7]

وكذلك وجد Straus and Stewart عام 1999 أن ما يقارب 94% من الآباء يضربون أطفالهم[8]، وحوالي 28.4% من الآباء لأطفال في عمر مابين 2 إلى 4سنوات، و28.5% من الآباء لأطفال في عمر 5 إلى 8سنوات، أقروا بأنهم يستخدمون شيء ما لضرب أطفالهم على المؤخرة.[9] ويتفق معه في ارتفاع نسبة استخدام العقاب البدني كذلك كل من Bryan and Freed حيث وجدا في دراسة لهما عام 1982 أن حوالي 95% من الأطفال المتمدرسين اختبروا العقاب البدني.[10]

كما وقد أظهر بحث مسحي وطني للعقاب البدني في جنوب إفريقيا، أن حوالي 57% من الآباء أقروا بصفع أو ضرب أطفالهم، في مقابل 33% ضربوا أطفالهم بحزام أو شيء ما.[11]

وفي بحث أجراه القسيم وآخرون (1998) على اتجاهات آباء كويتيين نحو العقاب البدني وقد وجد أن أكثر من 86% يعتبرونه استخدام عادي لتربية الأطفال.[12]

وفي دراسة أجراها الاتحاد المركزي لرعاية الطفولة بفلندا عام 2007 وجد أنه على الرغم من أنه 68% من الفلنديين لايعتبرون العقوبة البدنية مقبولة في تنشئة الأطفال، إلا أن حوالي 26% من المستطلعين لايزالون يقبلون هذه الطريقة كوسيلة للتأديب.[13]

وحسب تقرير وزارة الصحة بالمملكة المغربية، من خلال مسح وطني أجري عام 2006ـ 2007، على عينة قدرت بـ 8100 أسرة، وقد تبين أن حوالي 69% من الأطفال

في الفئة العمرية (2-14)سنة قد تعرضوا لعقاب جسدي خفيف خلال شهر يسبق زمن إجراء الدراسة، وحوالي 24% تعرضوا لعقاب جسدي حاد، وترتفع هذه النسب في الوسط القروي وبين أطفال الأسر الفقيرة. كما عبر حوالي 41% من الأمهات عن ضرورة استخدام العقاب الجسدي كوسيلة لتأديب الأطفال في المرحلة العمرية المذكورة، وترتفع هذه النسبة كذلك في الوسط القروي والأسر الفقيرة، حيث تبلغ نسبتهم حوالي 54%، 59% على التوالي.[14]

أما دراسة أوفيسي وآخرون (Oveisi and all, 2010) فقد هدفت لمعرفة اتجاهات الأمهات في ايران نحو العقاب البدني، وتكونت عينة الدراسة من 46 مشارك؛ 30 من الأمهات، 16 من مقدمي الرعاية. وكانت النتائج على النحو التالي: 80% من عينة الدراسة قاموا باستخدام العقاب البدني مع أطفالهم، و50% من عينة الدراسة لا يعرفون النتائج المترتبة على ممارسة العقاب البدني، و50% لايعرفون طرق العقاب البديل، وأن أكثر أشكال العقاب البدني شيوعا هي الضرب بالعصا على أجزاء مختلفة من الجسم، وقرص الأذن.[15]

وقد أشار الدكتور مصطفى عشوي من جامعة الملك فهد في دراسته التي نشرت في مجلة الطفولة إلى أن العقاب البدني ينتشر في الفئات العمرية من 6 - 12 سنة عن باقي الفئات العمرية، وكما أوضحت نتائج دراسة له على طالبات الجامعة في المنطقة الشرقية، أن 68% منهن قد تعرضن للعقاب البدني في الطفولة، و17% منهن أكدن على تعرضهن لهذا النوع من العقاب قبل سن السادسة، والعقاب الذي تعرضت له الطالبات تراوح بين الضرب على اليد والذراع والساق والحذاء والضرب على الوجه والرأس، وتصل إلى التهديد بالسكين وتصل شدة العقاب إلى إحداث جروح أو رضوض وكسور.[16]

كما أوضحت دراسة أجراها المركز الفلسطيني ضد العنف في قطاع غزة عام 1994 أن 70% من الأسر الفلسطينية تستخدم العقاب الجسدي إلى حد الإساءة والأذى.[17]

إذن من خلال هذه النسب التي حتى وان اختلفت وتباينت بين دولة وأخرى فإنها توضح مدى شيوع استخدام العقاب البدني من قبل الوالدين عالميا وليس على مستوى

الجزائر فقط، لكن السؤال الذي يحتاج إلى إجابة هو ما جدوى هذا الأسلوب وما هي تأثيراته على الطفل؟، وهذا الذي سيتم الإجابة عنه من خلال ما توصلت إليه مجموعة من الدراسات والأبحاث في العنصر الموالي:

2. فعالية العقاب البدني وتأثيراته على الطفل:

في إحدى الدراسات المنشورة على الانترنت والتي اعتبرت أن ضرب الطفل باليد أو بأداة ما، واللطم والصفع والركل والخض، هي ممارسات تقع في إطار العنف الجسدي والإساءة الجسدية للطفل، وقد أجريت هذه الدراسة في مدينة عمان (2009- 2010) على الأطفال البالغين من العمر 6-12 سنة والبالغ عددهم 380 طفل وطفلة، وقد توصلت إلى أن أكثر أشكال العنف (حسب ما اصطلح في الدراسة) الموجهة من قبل الأم والأب هي: القرص، الصفع بالكف على اليد أو الذراع أو الكتف، والضرب بقبضة اليد، الضرب على المؤخرة بشيء ما مثل الحزام أو العصا، الهز من الأكتاف، الدفع بعيدا عن أحد الوالدين. وقد توصلت كذلك إلى أن أهم 10 مشاعر التي تنتاب الطفل بعد تعرضه لشكل من أشكال العقاب الجسدي من الوالدين هي على الترتيب: الحزن، الألم ، الخوف من الوالد والوالدة، الغضب، الذنب، القلق والتوتر، أن الطفل لا يعرف فيما إذا كانت تصرفاته صحيحة أم خاطئة، أن الطفل لا يعرف ما يريد والداه منه، لا يستطيع الدراسة، عدم التركيز في عمل أي شيء.[18]

كما وقد توصلت الباحثة المهندس في دراستها التي تبحث في أساليب المعاملة الوالدية والأمن النفسي والقلق لدى عينة من طالبات المرحلة المتوسطة (11-22) سنة بمدينة جدة والبالغ عددها 411 طالبة، توصلت إلى أن العقاب البدني سواء من الأب أو الأم يرتبط بالشعور بعدم الأمن النفسي والقلق.[19]

وفي دراسة أجراها مانيال وآخرون (Manuel G G and all ,) في اسبانيا، حول العقاب البدني والمشكلات السلوكية طويلة المدى في إطار كل من الدور الأبوي الايجابي المعتدل والعدوان النفسي، وقد هدفت هذه الدراسة للتحقق في العلاقة بين العقاب البدني

والمشكلات السلوكية وذلك في حالة ما تم ادراتها في سياق الأبوة والأمومة الإيجابية (الحب والدفء مثلا) أو حدوثها في إطار من العدوان النفسي. تكونت العينة من 1071 من طلاب الجامعة الاسبانية (74.8% إناث، 25.2 % ذكور)، وقد توصلت الدراسة إلى أن العقاب البدني يرتبط أكثر بالعدوان النفسي عنه بالأبوة والأمومة الايجابية، وكشفت كذلك أن العقاب البدني يرتبط مع احتمال زيادة السلوكات المعادية للمجتمع بغض النظر عما إذا تم في إطار من الوالدية الايجابية أو العدوان النفسي من الأبوين.

كما وقد أشار مانيال وزملاؤه في بحثهم إلى أن التحليل لـ 88 من الدراسات التي تختبر العلاقة بين العقاب البدني ومخرجات سلبية متعددة. وجد أن العقاب البدني يرتبط بزيادة القابلية للسلوك العدواني والجانح لدى الأطفال. 39 من الدراسات وجدت هذه العلاقة، وبالمثل، 8 من 9 اختبارات للسلوك الإجرامي والعدواني لدى البالغين وجدت أن الفرضيات ترتبط بالعقاب البدني.

وخلصت كذلك إلى افتراض أن العقاب البدني ينتج عنه الانصياع على المدى القصير، وعلى المدى الطويل يمكن أن تزيد من القابلية للانحراف، والذي يتضمن الميول اللامجتمعية أو الضدمجتمعية. بالإضافة إلى أن العقاب البدني يرتبط مع عدد من الاضطرابات العقلية والنفسية السلبية، مثل الاكتئاب، القلق، الانتحار، إدمان الكحول.[20]

والنتائج التي توصل لها مانيال وزملاؤه تمثل ردا على انتقادات لعدد من الباحثين حول مصداقية الدراسات التي أظهرت الآثار السلبية للعقاب البدني، من حيث أنهم فشلوا في أن يأخذوا في الاعتبار العوامل السياقية. مثل: سياق الأبوة والأمومة الايجابية. فالمنتقدون يعتقدون أن العقاب البدني عندما يستخدم مع حب ورعاية الآباء وفي سياق ايجابي تكون غير ضارة.

وفي دراسة لـ ايميلي أرنستين (Emily A) حول العلاقة بين العقاب البدني والسلوك التكيفي، كان 237 طفل (مرحلة ما قبل المدرسة) جزء من دراسة طولية دامت 3سنوات، وقد توصل إلى أن العقاب الجسدي يرتبط باستدخال السلوك المضطرب بالنسبة للذكور وليس بالنسبة للإناث.

وقد أجرى جيرشوف (Gershoff, 2002) تحليل للعلاقة بين العقاب البدني من قبل الوالدين و11 من سلوكات وخبرات الطفل، وقد خلصت دراسته إلى أن العقاب البدني يعزز الصفات العدائية، والتي تنبؤ بالسلوك العنيف، وقد وضح مراحل ذلك كما يلي:

- تبدأ دورات قسرية من السلوكات المنفرة بين الوالدين والطفل، ما يؤدي إلى تآكل العلاقة بين الوالدين والطفل، وهذا بدوره يقلل الحافز لدى الطفل على استيعاب قيم الوالدين واحتياجات المجتمع، ما يؤدي إلى انخفاض ضبط النفس.

كما وضح أيضا أن العقاب البدني يرتبط بإثارة مشاعر الخوف والغضب والقلق، وانخفاض في مشاعر ثقة الطفل وكفاءته وتأكيد الذات ويزيد في مشاعر الذل والعجز.[21]

كما وتوصل تايلور وآخرون (Taylor et al , 2010) إلى أن زيادة الضرب في سن 3سنوات يتوافق مع أعلى مستويات العدوان لمجرد أن يصل الطفل إلى عمر 5 سنوات. وقد أفادت نتائج لدراسة طولية أجراها لانسفورد وآخرون (Lansford et al , 2011)، لعينة من الأطفال بالولايات المتحدة الأمريكية والبالغ عددهم 500 طفل تراوحت أعمارهم بين 6-9سنوات، أن المستويات العالية من التأديب البدني في سنة معينة يرتبط مع مستويات متزايدة من المشكلات السلوكية في السنة التالية. كما وأظهرت النتائج في دراسته كذلك لـ 200 طفل من العمر10-15سنة، أن استخدام العقاب البدني في احدى السنوات يتوقع زيادة السلوك المعادي للمجتمع في السنة التالية.[22]

كما أشار هولزر ولامونت (Prue H and Alister L)، إلى أن الأبحاث أظهرت أن العقاب البدني فعال في تحقيق الانصياع الفوري للطفل، ومع ذلك جادل كل من جيرشوف وسميث وآخرون Gershoff (2002), Smith et al. (2004)، أن الفوائد المتعلقة بالانصياع الفوري يمكن أن يقابل بالنتائج التي تشير إلى أن العقاب البدني يفشل في تعليم الاستقراء الاستدلالي للطفل، وضبط النفس، وبدلا من ذلك فهو يعلم الطفل عدم الإتيان بالسلوك المعاقب عليه في وجود الشخص البالغ فقط (وليس عدم الإتيان به

على الإطلاق)، بالإضافة إلى ذلك يشير لينك (Linke ,2002) بأن العقاب البدني يعلم الطفل أن المشاكل يمكن معالجتها من خلال الاعتداء الجسدي.[23]

وفي دراسة طولية وطنية لموري (Murray A. S)، حول العقاب البدني للطفل المستخدم من قبل الأم وعلاقته بنمو القدرات المعرفية على عينة قدرت بـ 806 من الأطفال بين 2-4سنوات، و704 من الأطفال بين 5-9سنوات، وقياس القدرة المعرفية تم في بداية الدراسة وبعد 4 سنوات. وقد توصل إلى ان الأطفال الذين لم يتعرضوا للضرب أو بشيء قليل منه اكتسبوا القدرات العقلية، وقد فسر هذه النتائج من خلال أن التحدث الى الأطفال، بما في ذلك الأطفال الرضع، يرتبط مع زيادة الوصلات العصبية في الدماغ والقدرة المعرفية. وبما أن الآباء يستخدمون العقاب البدني مثل الضرب أو الصفع للطفل للمسه أشياء ممنوعة، وبالتالي يكونون أقل عرضة للانخراط في الأساليب المعرفية للتحكم في السلوك مثل الشرح للطفل لماذا هذا الشيء لا ينبغي لمسه، وعلى العكس، فان الأبوين الأقل استخداما للعقاب البدني، تولد الحاجة إلى مزيد من التفاعل اللفظي لتعليم وتصحيح الطفل، وبالتالي فزيادة مستوى التفاعل اللفظي يعزز القدرة المعرفية.[26]

أما البحث الذي أجراه روبرت (Robert T. M)، والذي اختبر فيه نموذجان حول انتقال العقاب البدني بين الأجيال، النموذج يرتكز على نظرية التعلم، والذي يؤكد أن العقاب البدني يؤثر في السلوك العدواني للطفل، والنموذج الثاني الذي يرتكز على نظرية الطبع، والتي تؤكد على أن سلوك الطفل العدواني يؤثر على استخدام الآباء للعقاب البدني. تكونت العينة من 1536 أب ل 983 طالب مدرسة. وتم تقييم العقاب البدني من الأب والأم ووجهة نظر الطفل. وخلص التحليل إلى أن نموذج التعلم الاجتماعي هو الأكثر اتساقا مع البيانات.[25]

وفي دراسة لنزيهة حول أساليب التربية الأسرية والعنف المدرسي للمراهقين، والتي أجريت على عينة قدرت بـ 103 طالب ثانوي بين 17-19سنة فأكثر، مشهود لهم بممارسة عنف جسدي أو لفظي أو مادي. توصلت الى وجود علاقة بين أسلوب القسوة والسلوك العنيف في الدراسة، وقد صرح حوالي 27.18% بتلقيهم العقاب لأتفه الأسباب،

و37.86% يعانون من قسوة وسوء معاملة الوالدين.[26] وفي بعد آخر لتاثير أساليب المعاملة الوالدية توصلت دراسة فضيلة إلى أن أسلوب الألم النفسي له ارتباط قوي بالسلوك العدواني للمراهق، حيث طبقت الدراسة على 52 تلميذ المرحلة المتوسطة تراوحت أعمارهم بين (13-16)سنة.[27] وخلص كذلك الصادق إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين أسلوب التسلط من طرف الآباء والأمهات والقلق الاجتماعي (العينة: 151 تلميذة و130 تلميذ للسنة ثانية ثانوي).[28]

وقد وضحت مقحوت أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء التي تشجع على التفوق الدراسي للمراهقين المتفوقين في شهادة التعليم المتوسط والذي بلغ عددهم 92 تلميذ، وتوصلت إلى كون الأساليب الايجابية (التقبل، الاهتمام، الديمقراطية في المعاملة، التشجيع والمكافأة، المساواة) لها تأثير أقوى من السلبية (النبذ، الاهمال، الحماية الزائدة، التسلط، القسوة، إثارة الألم انفسي)، وقد كان الألم النفسي مرتبا كآخر بعد يمكن أن يشجع على التفوق الدراسي حيث بلغ 5.65% بالنسبة لصورة الأب و5.85% بالنسبة لصورة الأم.[29] وقد أشار بوراكي في دراسته للسلطة الأبوية في العائلة الجزائرية وحركة التغير الاجتماعي على عينة قدرها 559 شخص من 300 عائلة جزائرية، إلى أن موقف الأب، كلما مال في علاقته بأبنائه إلى أن ينطبع بطابع الصداقة والتفاهم، وتجنب العنف والتسلط. أثمرت عاطفة الإعجاب في الأبناء وسهل عليهم ادماج عالم الأبوة وقيمه وتقمص شخصيته.[29]

كما وقد أشار الباحثون لبابنة، المومني، والزعبي في دراسة لهم حول واقع العقاب البدني في مؤسسات رياض الأطفال في الأردن من وجهة نظر المعلمات والتي اجريت على عينة قدرت بـ 122 معلمة للعام الدراسي 2010-2011. إلى أن أبرز نتائج العقاب البدني من وجهة نظر المعلمات كانت: الأذى النفسي، والقلق، والانقطاع عن الروضة. وهي تتفق في بعض نتائجها مع دراسة (السورطي،2003)، التي هدفت إلى معرفة اتجاهات معلمات رياض الأطفال في الأردن نحو العقاب البدني، وأظهرت بدورها أهم نتائج العقاب البدني والتي تمثلت في: الأذى النفسي، العناد، الانقطاع عن الروضة، وزيادة السلوك العدواني، وإضعاف القدرة على التعلم.

كما أشار لبابنة، المومني، والزعبي إلى أن المعارضين لهذا النمط من العقاب يرون على أنه يقود إلى تكوين اتجاهات وردود أفعال سلبية نحو الشخص الذي تلقى العقاب، كما أنه يسبب العدوان والتمادي. كما يرى جماعة من المربين وعلى رأسهم روسو بأن عقاب الطفل أمر غير مرغوب فيه، حيث ينادي بترك أمر تربيته للطبيعة فهي التي تحدد له العقاب. أما ثورندايك وسكينر (المدرسة السلوكية) وأوزبل وبياجيه (المدرسة المعرفية) فيرون بأنه لاينبغي استخدام العقاب البدني مع الأطفال على الاطلاق.[31]

إذن يتضح من خلال ما تم عرضه من دراسات امبريقية، أنه على الرغم من أن العقاب البدني هو موجه تحديدا لهدف الكف من السلوك غير المرغوب فيه والتعديل منه، أو التقليل من احتمالات تكراره، حتى وان كانت طريقة ممارسته في دائرة الألم فقط، إلا أن نتائجه تجاوزت حد الألم وتعدت إلى الأذى على عدة مستويات؛ المستوى النفسي، المستوى العقلي، المستوى السلوكي، والمستوى الاجتماعي، وكذلك على المدى الزمني القصير أو المدى الزمني الطويل.

وعليه فهل يمكن اعتبار أن هذا النمط من العقاب هو تعنيفي وليس تربوي، إن هذا هو الذي سيتضح من خلال آراء بعض الباحثين حول مصداقية النتائج التي توصلت إليها اغلب الدراسات التي تربط بين العقاب البدني والنتائج السلبية. فنجد مثلا كل من بومريند وبيكت وآخرون (2005)Baumrind et al. (2002) and Beckett، قد أشاروا إلى أن العلاقة السببية بين العقاب البدني للطفل كالصفع والنتائج السلبية ليست واضحة، خاصة وانه يتأثر بمجموعة من العوامل:

- نوعية العلاقة بين الوالدين والطفل.
- كيفية ضرب الطفل ومدى شدة الضرب.
- فيما إذا كان الأبوين بصفة عامة عدائيين.
- مدى الاتساق في استخدام التأديب.

⇦ فيما إذا كانت تستخدم تقنيات تأديبية أخرى، لاسيما تلك التي هي مناسبة لعمر الطفل، ومن المرجح أن تعزز عند الطفل التعلم والقدرة على التفكير.[32]

أما بالنسبة إلى بريان وآخرون (Brian B. B and all)، فقد أشار إلى أنه على الرغم من وجود أدلة متعلقة بالارتباط بين الضرب والسلوك المعادي للمجتمع، فإن ليس جميع الأطفال ممن يتعرضون للضرب يطورون سمات معادية للمجتمع، وبالتالي فمن الممكن لأن يكون لمتغير ثالث يشترط في تأثير العقاب البدني على نمو الطفل، وعلى هذا الأساس فقد قام باختبار هذا لاحتمال من خلال استخدام بيانات تمثيلية على الصعيد الوطني من الأشقاء التوائم، والنتائج التي توصل إليها تشير إلى أن عوامل الخطر الجينية شرط في تأثير الضرب على السلوك المعادي للمجتمع، وقد أكد أن نتائجه دليل على أن التفاعل بين عوامل الخطر الجينية والعقاب البدني وقد تكون بارزة خاصة عند الذكور.[33]

ولم يمانع جون ديوي على بعض العقاب لأنه قد يكون وسيلة فعالة لاثارة اهتمام بعض التلاميذ بالخبرات المراد تعلمها، على أن لايحدث ذلك إلا بعد أن يستنفذ المعلم مختلف الوسائل. وهذا الرأي يقع في خانة المؤيدين الذين يشيرون إلى أن العقاب يعمل على تسريع إزالة السلوك غير المرغوب فيه، إضافة إلى كونه رادعا للأشخاص المشاهدين له.[34]

إذن هناك عوامل متعددة تتدخل في تأثيرات العقاب البدني على الطفل، كما أن تضارب آراء الباحثين حول مسألة وجود تأثيرات سلبية من عدمها، يُوجب على القائمين على تربية الطفل الحذر عند استخدام هذا النمط من العقاب، خاصة وأن عددا من الباحثين والمختصين يؤكدون على ضرورة توخي الحذر ومراعاة عدة اعتبارات وشروط، فقد أشار سكنر عام 1938 في دراسة له على عينة من تلاميذ الصف الرابع الابتدائي، إلى أن نتائج العقاب لا يمكن التنبؤ بها، وقد يؤدي إلى تثبيت السلوك لا إلى حذفه، كما أن النتائج الجانبية للعقاب قد تكون سيئة للغاية حيث تؤدي إلى كراهية مصدر العقاب.[35] ويمكن أن نوضح الشروط في العنصر الموالي:

3. شروط واعتبارات استخدام العقاب البدني:

- **الوسائل البديلة للعقاب البدني:** فالعقاب البدني ليس هو الوسيلة التربوية الوحيدة من أجل تعديل سلوكات الطفل، حتى وإن كان بعضها يستغرق وقتا أطول في ضبط سلوكات الطفل مقارنة بالعقاب البدني، إلا أنها أقل ضررا من ممارسة العقاب البدني، وأكثر فعالية من حيث أنها تتيح للطفل في أن يفكر في مدى خطأ سلوكه، وتقوي الرابطة بين الطفل وأبويه، فيمارس السلوكات عن رغبة واقتناع وليس عن رهبة. فهذه الوسائل البديلة هي الأكثر أمنا، ونذكر على سبيل المثال: التعديل بالقدوة، الثواب، التعديل بالقصة، التجاهل عند صدور سلوك غير مرغوب خاصة وأن الطفل قد يهدف من وراء سلوكه إلى لفت انتباه والديه، الحزم وعدم التعاطف مع ضغط الطفل من خلال البكاء أو كثرة الاحتجاج.....
- **التوجه نحو هدف تعديل السلوك:** الهدف الرئيس من وراء إلحاق الألم بالطفل هو تعديل السلوك دون ضرر نفسي أو اجتماعي أو انفعالي أو عقلي أو جسدي، ودون توجيه شحنة عدوانية تفريغية على الطفل، وهذا يصعب تحققه، فتوجيه صفعة باليد إلى الطفل لن يدركها الطفل على أنها توجيه معبر عنها بالحب، كما أن الوالد لا يقدم على هذه الخطوة وهو في حالة من الهدوء وضبط النفس. وبالتالي على المربي وان لجأ الى العقاب البدني فعليه أن يركز على إيصال فكرة أنه مستاء من سلوك الطفل وأن هذا السلوك غير مرغوب، مع تبرير سبب هذه العقوبة. كشد الأذن بشكل غير عنيف، أو الضرب على كفة اليد دون عنف.
- **عدم المبالغة والإفراط في استخدامه:** نظرا لعواقب العقاب البدني غير المتوقعة والتي تربط بتأثيرات سلبية تحيد بالمربي عن هدف تعديل السلوك، فإن التقليل منه قدر الإمكان خاصة في حال تطبيق أساليب بديلة، وأن يجعل منه المربي الحالة الاستثنائية وليست الدائمة والغالبة.

بعد مناقشة العقاب البدني بصفة عامة والتفصيل في جزئياته، فكيف يتم ممارسته في الأسرة الجزائرية:

4. العقاب البدني في الأسرة الجزائرية:

أجرى الدكتور مصطفى عشوي باحث في علم الاجتماع بجامعة الجزائر، بحثا ميدانيا على 1700 عائلة، وقد توصل إلى أن 70% من أفراد العينة تعتمد على العقاب الجسدي في تربية أبنائها، وتبين من خلال هذا البحث أن الأم تمارس هذا النوع من العقاب بنسبة 30% في مقابل 23% بالنسبة للأب، ويمارس بنسبة 19% بالنسبة للأبوين معا، أما باقي أفراد الأسرة كالجدين والإخوة والأخوات فلم تتعدى النسبة 3%. وقدر عدد الأطفال الذين تلقوا أول عقوبة جسدية في الوسط الأسري قبل بلوغهم السادسة 23%، أما الفئة العمرية من 6-10 سنوات ففاقت النسبة 32%.[36]

أما عن أشكال العقاب البدني كما يشير العديد من الباحثين والتي تعتمدها الأسر الجزائرية، فهي لا تختلف عن الأساليب التي تعتمدها باقي الثقافات أو المجتمعات من ضرب وهز وركل وقرص أو استعمال أشياء معينة أو الضرب في أماكن مختلفة من جسم الطفل، ولا يراعى في ذلك شروط استخدام العقاب البدني، بل وقد يعد الأسلوب الأكفأ من وجهة نظر العديد من الأولياء، وقد يتعدى استخدام هذا الأسلوب حد إيلام الطفل إلى إيذاء الطفل وتفريغ عدائية الوالدين، وبالتالي يصبح العقاب البدني في اطار العنف البدني.

الخاتمة:

تخضع مسألة كون العقاب البدني هو أسلوب تربوي أم أسلوب تعنيفي إلى عدة اعتبارات؛ أولها طريقة وأسلوب تنفيذه من جهة وظروف تنفيذه من جهة أخرى، وثانيا حجم التأثير ومستوياته الذي يقع على الطفل من جراء تنفيذه، ثالثها مدى تكراره وفيما إن كان الأسلوب الأساسي المعتمد من قبل الأبوين أم الأسلوب الثانوي أي من خلال وجود وسائل تربوية بديلة من عدمها، وقد تم توضيح هذه العناصر من خلال هذا البحث الذي

تضمن عددا من الدراسات المحلية والعربية والعالمية، تباينت فيها أراء أصحابها بين مؤيد ومعارض ومتحفظ على هذا الأسلوب، وهذه الدراسة تقع في الخانة الثالثة (المتحفظ) من بين ما تم عرضه من توجهات.

المراجع:

1. Ann, S . Una, G and Don, T, punishment and behavior change, the Australian Psychological Society, 1995, source: http://www.psychology.org.au/Assets/Files/punishment_position_paper.pdf
2. Building a Europe for and with children. Abolishing corporal punishment of children, 2007 , source: http://www.coe.int/t/dg3/children/pdf/QuestionAnswer_en.pdf
3. Prue H and Alister L , Corporal punishment, National Child Protection Clearinghouse, (2010) source:http://www.aifs.gov.au/nch/pubs/sheets/rs19/rs19.pdf
4. ذهبية ، قوري. العقاب الجسدي والمعنوي للمدرسين وتأثيرهما على ظهور السلوك العدواني لدى التلميذ المتمدرس في مستوى التعليم المتوسط ومستوى التعليم الثانوي، مذكرة ماجستير غير منشورة، تيزي وزو- الجزائر، (2010)، متاحة على: http://www.ummto.dz/IMG/pdf/memoire-2.pdf
5. Murray A. S, Vera E. M. Impulsive Corporal Punishment by Mothers and Antisocial Behavior and Impulsiveness of Children, (1998), (electronic version), Journal of aggressive, Malttreament-Trauma 459-483.
6. Martin M, Cultural Issues in the Corporal Punishment of Children, source: http://www.kaimh.org/Websites/kaimh/images/Documents/Cultural_Issues_in_the_Corporal_Punishment_of_Children.pdf
7. Joseph, G. Amnon , L and Samar M, Physical Punishment in Israeli Arab Families: Attitudes and Behavior, source:http://www.qsm.ac.il/asdarat/jamiea/11/eng--1--joseph%20guttman.pdf
8. Murray A. S. Corporal Punishment by mothers and development of children's cognitive ability: A longitudinal study of two nationally representative age cohorts, (electronic version), Journal of aggressive,18(5), Malttreament-Trauma, (2009), 459-483
9. Elizabeth, T, G. Corporal Punishment, Physical Abuse, and the Burden of Proof: Reply to Baumrind, Larzelere, and Cowan (2002), Holden (2002), and Parke (2002), Columbia University, (2002). source: http://vitz.webs.com/bul-128-4-602.pdf
10. Murray A. S , , op.cit , 2009.
11. Corporal punishment of childdren: a South Africa National Survey (2005). source : http://www.kaimh.org/Websites/kaimh/images/Documents/Cultural_Issues_in_the_Corporal_Punishment_of_Children.pdf
12. Joseph, G. Amnon , L and Samar M, , op.cit , without date .

[13] Helsinki , Don't hit the child, National action plan to reduce corporal punishment of children 2010–2015, Finland, (2011), source: http://www.stm.fi/c/document_library/get_file?folderId=3320152&name=DLFE-16239.pdf

[14] وزارة الصحة بالمملكة المغربية. المسح الوطني متعدد المؤشرات وصحة الشباب 2006-2007 التقرير الأولي، المغرب، (2007)، متاح على: http://docum.unblog.fr/files/2011/03/enims2007.pdf

[15] لبابنة، أحمد. المومني،حازم. الزعبي،محمد. واقع العقاب البدني في مؤسسات رياض الأطفال في الأردن من وجهة نظر المعلمات. (النسخة الالكترونية). *مجلة العلوم التربوية والنفسية*. 15(...).(2014)، ص ص 136- 163

[16] الغامدي، حاتم ، و يحي، جبران. تأديب الأطفال بين العقاب البدني والإيذاء النفسي، صحيفة الشرق، العدد 448،(24،2،2013)، ص16، متاح على: http://www.alsharq.net.sa/2013/02/24/737825

[17] أعطير، بسام . اتجاهات معلمي ومشرفي التربية الإسلامية وأولياء أمور الطلبة نحو العقاب البدني في مدارس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين،(2003)، متاح على:-http://scholar.najah.edu/sites/default/files/all-thesis/attitudes_of_teachers_supervisors_of_islamic_education_and_parents_towards_physical_punishment_at_schools_in_palestine.pdf

[18] دراسة منشورة على الانترنت دون أي بيانات، (ص31، 13)، متاحة على: https://www.uop.edu.jo/download/research/members/111_664_khad.pdf

[19] المهندس، ميساء. أساليب المعاملة الوالدية والشعور بالأمن والقلق لدى عينة من طالبات المرحلة المتوسطة بمدينة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،(2006)، متاحة على: http://www.almostshar.com/web/images/Mat/271.pdf

[20] Manuel G and all , Corporal punishment and long-term behavior problems: The moderating role of positive parenting and psychological aggression,(electronic version*),* Psicothema, 22(4), (2010), 529-536.

[21] Emily, A, Associations Between Corporal Punishment and Behavioral Adjustment in Preschool-Aged Boys and Girls, (2009), source:http://deepblue.lib.umich.edu/bitstream/handle/2027.42/63907/arnstein_emily?sequence=1

[22] Brian B. and all, Physical Punishment and Childhood Aggression: The Role of Gender and Gene–Environment Interplay.(electronic version). (2011)

[23] Prue H and Alister L , Corporal punishment, National Child Protection Clearinghouse,(2010), source: http://www.aifs.gov.au/nch/pubs/sheets/rs19/rs19.pdf

[24] Murray A. S , op.cit , 2009

[25] Robert T. M and all, the intergenerational transmission of Corporal Punishment: A Comparision of social learning , USA, (1995), source: http://www.hci.iastate.edu/REU09/pub/Main/SecondReading/2.pdf

[26] نزيهة، خليل ، دراسة في: أساليب التربية الأسرية والعنف المدرسي-دراسة ميدانية لبعض ثانويات مدينة بسكرة-، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر. (2003-2004)

[27] فضيلة، زراقة ، دراسة في: أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالسلوك العدواني – دراسة ميدانية على بعض متوسطات ولاية سطيف-، رالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر. (2008-2009)

[28] الصادق، طالبي، دراسة في: علاقة أساليب المعاملة الوالدية بالقلق الاجتماعي لدى عينة من تلاميذ المرحلة الثانوية بمدينة المسيلة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر. (2006-2007)

[29] مقحوت، فتيحة ، دراسة في: أساليب المعاملة الوالدية للمراهقين المتفوقين في شهادة التعليم المتوسط – دراسة ميدانية بثانوية القبة الجديدة للرياضيات-، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية. جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر. (2014-2015)

[30] بوراكي، محمد ، دراسة في: السلطة الأبوية في العائلة الجزائرية وحركة التغير الاجتماعي، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد. (1987)

[31] لبابنة، أحمد. المومني،حازم. الزعبي،محمد. واقع العقاب البدني في مؤسسات رياض الأطفال في الأردن من وجهة نظر المعلمات. (النسخة الالكترونية). *مجلة العلوم التربوية والنفسية*. 15(...).(2014) ص ص 136- 163

[32] Prue H and Alister , op.cit , 2010

[33] Brian B. and all, Physical Punishment and Childhood Aggression: The Role of Gender and Gene–Environment Interplay.(electronic version). Aggressive Behavior, Volume 37, (2011), 559–568.

[34] لبابنة، أحمد. المومني،حازم. الزعبي،محمد. واقع العقاب البدني في مؤسسات رياض الأطفال في الأردن من وجهة نظر المعلمات. (النسخة الالكترونية). *مجلة العلوم التربوية والنفسية*. 15(...).(2014)، ص ص 136- 163

[35] جندرمة، خولة ، الثواب والعقاب في التربية والتعليم، سوريا،(دون سنة)، متاحة على:
http://www.nesasy.org/pdf/2007/khawla-jandarya.pdf

[36] حواء، بلقاسم ، وخلاص، كريمة (22،11،2008).ثلاثة ملايين عائلة جزائرية تربي أبنائها بالضرب والاهانة، جريدة الشروق، (5، 2015)، متاح على:
http://www.echoroukonline.com/ara/?news=29107?print